مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث	الموضوع: حقوق المراة		ا لرقم: 03
	المصدر : حقائق	موقع الواب :	البلد:تونس
		التاريخ: 2010-09-01	العدد و [ص]:

ليليا العبيدي

مجلة الأحوال الشخصية ليست رهينة لأحد...

جامعية وباحثة منذ بداية الثمانينات زارت العديد من الجامعات ومراكز البحث في العالم في فرنسا ومصر والولايات المتحدة وسويسرا ومتخصصة في علم النفس وفي الانثروبولوجيا بين الجامعة التونسية ومستشفى الاطفال وهي تعتبر لمدة طويلة حاملة راية الانثوية النسائية والدفاع عن حقوق المرأة ورفع الغبار عن تاريخها و اثبات مساهماتها في الوطني.

..... ولها العديد من الاطروحات والاعمال المنشورة من أهمها كتاب «صابرة وحاشمة » في الثقافة الجنسية التونسية الذي صدر سنة 1989 . و كتاب جذور الحركة النسائية التونسية الشخصيات التاريخية ... و العديد من المقالات والمداخلات في مختلف المحافل الجامعية ومجالات البحث بين تاريخ النساء وانثروبولوجيا النساء وعلم النفس الانثوي بالعربية والفرنسية والانقليزية ... بعد تجربة طويلة في ميدان كتابة تاريخ النساء التونسيات توصلت اليوم الى الاعتقاد بأن المرأة التونسية تتمتع بجملة هامة من الحقوق وعلى رأسها مجلة الاحوال الشخصية التي غيرت الاوضاع القانونية لكنها لم تبدل علاقاتها بالرجل رغم ذلك... بقيت هذه العلاقة تسودها رواسب وتقاليد موروثة فما هو الحل؟

تاريخ النساء هو الذي ساعد على ارساء النظام الجمهوري واعلان مجلة الأحوال الشخصية.

تقول عن نفسها انها إمراة حرة تشعر بمسؤوليتها عن شؤون المجتمع وشؤون العائلة تدافع عن القانون والحق والعدل تلك غاية وجودها وهدفه ....تريد من ذلك ان تعطي نموذجا يحتذى به للمرأة التونسية المتعلمة والحرة والمناضلة من اجل حياة افضل .

ما تزال الاستاذة مسكونة بهموم ومشاغل المرأة وهي اليوم منكبة على دراسة ظاهرة العنوسة وتحليل الحيل والاستراتيجيات التي تستنبطها المرأة العزباء لإحاطة ومواجهة هذا الامر الجديد والعصري والمستعصي. تشتغل الاستاذة العبيدي في تطوع كامل وتفرغ تام ولحسابها دون ان يكون لها رصيد مالي يساعدها على استيفاء متطلبات الكتابة والطبع والتوزيع ... وتقول عن نفسها.. انا ليست مؤسسة: انا اشتغل لمفردي يدفعني الاعتقاد انه من واجبي ان أكتب تاريخ النساء حتى لا تكون مجلة الاحوال الشخصية رهينة لأحد... وتبقى ملكا مشاعا لكل المجتمع ونتيجة طبيعية لنضال مشترك بين النساء والرجال طويل ودؤوب ....

وفي كتابها الذي صدر مؤخرا في طبعة ثالثة منقحة ومزيدة وعنوانه جذور الحركة النسائية بتونس اختارت الاستاذة ان ترفع الغبار عن ذاكرة خمس نساء متنوعات في الموقع والمكانة والثقافة والمنشأ لكنهن متشابهات في التضحية والنضال. خمس نساء من جملة الاف مؤلفة من المغبونات المغمورات اليتيمات المقهورات والمناضلات من اللواتي لا يقدر عليهن الحصر ...

محمد الحبيب عزيز

صور متدافعة من ذكريات نساء مناضلات في اواخر حياتهن يتذكرن.. «انا المرأة الوحيدة براسي في وسط الرجال» وتقول ثانية «حجمت راسي ولبست الاكحل» وثالثة عرست صغيرة وتشغشبت ورابعة كانت هي وأم السعد من الاوائل في النضال وخامسة «اللي يموت يموت شهيد واللي يعيش يعيش سعيد... »

ومنهن من ورد ذكرهن في سجل شهداء حوادث النفيضة وتازركة وساقية سيدي يوسف ومعركة الجلاء .... لكن الاستاذة اختارت من بينهن تلك اللواتي بقين على قيد الحياة و لهن امكانية التعبير بجرأة عن قصص عشنها... واكتفت بالنسية لغيرهن بذكر قائمة اسمية في الشهيدات منهن ...

و لم تكن مبادرة الاستاذة ليليا العبيدي مبادرة يتيمة فريدة بل ان حقل البحث في تاريخ النساء اصبح مزدهرا تعددت فيه المساهمات فالعديد من النساء كتبن مذكراتهن الشخصية بأنفسهن مثل المناضلة راضية الحداد و المنشطة علياء ببو ... ونجد اخريات تحدثن شفاهيا عن تاريخهن امام مؤرخين مختصين في التاريخ الشفوي والشهادات التاريخية مثل الاستاذ الحبيب الكزدغلي والاستاذة دلندة الارقش بوزقرو ... و أمام منبر أكاديمية البحث الخاصة التي يسيرها الاستاذ عبد الجليل التميمي... نساء قدمن روايات احتوت على معلومات جديدة حول العلاقات بين النساء في تلك الفترة وعلاقاتهن بالمنظمات والشخصيات الوطنية... نساء من مختلف الاوساط الاجتماعية والثقافية لعبن دورا مهما في النضال النسوي والكفاح الوطني...

يصعب اليوم ان نفصل نضال النساء من

مساهمتهن في الشأن الوطني تحت وصاية الرجال أم تعبيرا عن تحررهن الذاتي وهل ان الشأن الوطني كان شأنا ذكوريا و كيف يمكن ان نقرأ مساهمة النساء في الشأن الوطني قبل الاستقلال؟

هل يعقل انه في المجتمع التونسي المحافظ الذي تهيمن عليه الثقافة الريفية والفقر النساء كانت حرة في العلم الريفي نساء الافاق اكثر تحررا من نساء المدن لان نساء العاصمة خاضعات لمقاييس ونواميس المجتمع والمراقبة ومراجع العائلة وقد يصح هذا القول في خصوص بشيرة بن مراد التي دفعها والدها الشيخ محمد الصالح بن مراد الى النشاط النسائي دفعا في إطار مناهضة العائلة لكتاب الطاهر الحداد إمرأتنا في الشريعة والمجتمع الذي كان الشيخ يقف ضده وقفة حازمة مما جعله يدعو الى مواجهة الشيوعية وتأسيس حركة الفتاة المسلمة وكذلك الشأن بالنسبة لشادلية بوزقرو ابنة اخت الزعيم بورقيبة وأخت سعيدة ساسي لقد خدمت لفائدة خالها وخدمت بخالها ايضا لكن البقية لا يصح عليهم ذلك فقد كان لهن مشاريع خاصة.....انطلقن من واقعهن الشخصي وربطنه بواقعهن الوطني واستطعن بذلك ان يحققن نوعا من الارتقاء من الذاتي الى الوطني...

هل أفضى النضال من أجل الاستقلال الى تحرير النساء من الوصاية الذكورية ومن منزلة القصور الاجتماعي أم أن تحرر المرأة هو شأن سياسي استفاد منه الزعيم اكثر من المناضلات أنفسهن والعديد منهن مثل راضية الحداد لم تكن متفقة مع الزعيم وأبعدت عن منظمة النساء التي أسستها ؟

بعد كتاب الطاهر الحداد لم يعد ممكنا القبول بأن المرأة قاصرة كل واحدة ساهمت بقسط في تطوير وضع النساء كل امرأة تمكنت من أن تفكر بأن القمع هو جماعي وهو شخصي في نفس الوقت واستطاعت أن تنقل مشكله الشخصي الى مشكل جماعي بمعنى وطني و ساهمت في دفع وضع النساء نحو التقدم . ان مجلة الاحوال الشخصية لم تكن هدية وليست ملكا لأحد وحده فهي ملك مشاع للجميع وليست رهينة لأحد فهنالك نساء استشهدن من اجلها واخريات سجن وعذبن وابعدن وقاسين الامرين.

هل ان كتابة تاريخ النساء مغامرة شخصية ام اختصاص علمي مثل أدب النساء أو طب النساء فأن نكتب تاريخ النساء مهم لكن كيف نكتبه ومن يكتبه؟

تاريخ المرأة كان مهمشا حتى 1980 لم يدخل تاريخ النساء الى الوعي الجماعي ولم اجد كتابا يتحدث عن المناضلات لذلك كتبت وهذا هو هدفي. فالنساء لم يكن لهن نموذج وهذا مشكل النموذج العالمي لكن ليس هنالك نموذج محلي تونسي كتابة تاريخ النساء هو تحد علمي التاريخ وعلم النفس الاخلاقي. هنالك نساء وجدن وكافحن ومن حقهن ان نكتب عنهن فحركة النساء هي حركة ثقافة الوقوف ضد حمل السفساري وهي حركة فكرية، النساء فيها متنوعة من

اليوم بعد تحقيق المساواة القانونية مع الرجل لا نريد سياسة تعتمد على الارقام لكن سياسة تعتمد على التجربة والالم أي كلما نحس بالوجع نبحث له عن دواء امرأة كانت أم رجل

الحزب الشيوعي التونسي الحزب الدستوري القديم الحزب الدستوري الجديد.

داخل الحركة الوطنية هنالك حركة نسائية وفي العديد من المنظمات حركة النساء هي حركة متعددة ... المهم ان الجمهورية لم يمكن اعلانها قبل اعلان قانون الاحوال الشخصية.

كما أن تاريخ النساء اثبت انهن كن مستعدات لتجاوز الادوار التقليدية المنوطة بهن والتي ظلت مفروضة عليهن حتى ذلك التاريخ ولما نشرت كتاب جذور الحركة النسائية كان ذلك اصرارا مني على محاولة فهم ما اذا كانت الشروط المعيارية والبنيوية المقدمة في شكل نماذج تعيد انتاج التعارض بين المرأة والرجل بين الخارج والداخل من خصائص المجتمع الاسلامي أم انها ترجع فقط الى ارادة الرجال وهم بطبيعتهم محافظون يدافعون باصرار عن قوانين وتقاليد عتيقة تحد من حرية النساء.

هذه التجارب والمسارات المختلفة تطرح جملة من الاسئلة حول كشف الطريقة التي يعمل بها المجتمع أيّ شكل سوف يأخذ انضمام النساء الى العمل السياسي هل تحقق ذلك بارادتهن ام عن طريق التفويض ..

وبفضلهن فهمنا انه وقع التعتيم عليهن حتى لاتبرز الى السطح تلك التمثلات اللاواعية المكبوتة التي قد تزعزع ضمائر الرجال عندما تظهر المرأة على أنها قادرة بمفردها على التقدم والتطور وهو أمر يتعارض مع الصورة التي يحملها الرجال عن انفسهم وعن المجتمع. ان صمت التاريخ في شأن النساء هو نتيجة صمت النساء أنفسهن فحتى اللواتي ساهمن في العمل السياسي خيرن الصمت وبعضهن لم احتفضن بشهادتهن ولم يتحدثن عن تجاربهن وحتى المؤرخات من النساء فهن أعدن في كتابتهن انتاج نفس الفكر الذكوري الذي تعلمنه وهذه هي معضلة الحركة النسائية اليوم وهو مشكل لم نهتد الى حله رغم كثافة وتنوع القوانين والحقوق التي يكفلها الدستور الى المرأة والاسرة ... هنالك القوانين التي تحث على المساواة لكن لم تتأسس بعد ثقافة المساواة.

اليوم بعد تحقيق المساواة القانونية مع الرجل لا نريد سياسة تعتمد على الارقام لكن سياسة تعتمد على التجربة والالم أي كلما نحس بالوجع نبحث له عن دواء امرأة كانت أم رجلا حينما نقول إنه اليوم في بلادنا ثلث القضاة من النساء ونصف الاطباء من النساء ونصف الاساتذة والمعلمين من النساء هذه أرقام جيدة لكن السؤال ماذا اضافت النساء الى القضاء و التعليم ما هي مساهمة المرأة في تطوير هذه الخدمات وهذه الاختصاصات وما هو الدور المميز للنساء في كل هذا .

استعملت الاستاذة مصطلحات مدوية وهي كلمات مؤثرة شديد الاثر مثل كلمة ذاكرة النساء والتاريخ النسائي المبتور وكلمة اغتصاب مساهمة النساء وكلمة الرهان التاريخي مصطلحات شاسعة وغير قابلة للحصر والمراقبة العلمية تعج بها مقدمة الكتاب دون هوادة ودون اعتبار ان القارئ المتوسط ليس بالضرورة قادرا على اكتشاف

الكنه المكنون لمثل هذه الدرر من الكلمات الرنانة الجميلة المؤثرة.

ثم لو قيمنا الكتاب تقييما علميا لوجدنا ان الفترة التي برز فيها النضال النسائي وانتشر كانت في الخمسينات عشية الاستقلال رغم وجود الحركة النسائية منذ الثلاثينات.

مما لايعكس الجذور مثلما يدعيه عنوان الكتاب فالكتاب هو رصد لشهادات شفوية اكثر منه دراسة في جذور الحركة النسائية التونسية وقد اصبح من المعروف بعد ان تعددت الشهادات الشفاهية منذ العشريتين الماضيتين ان هذه الشهادات هي في الحقيقة مجرد رواية شخصية جدا للاحداث وتمجيد للاعمال والادوار وتصفية حسابات بعد مرور الحدث وهي عادة ما تكون رواية المنتصرات القادرات على الكتابة والجرأة ذوات المناصب والمكانة مثل بوزقرو وابن مراد وغيرهن ... هنالك انتقائية في الشخصيات وفي الاحداث لا تمكن من كتابة موضوعية لتاريخ النساء كما يريد العنوان ان يقنع به القارئ. وقد الف الاستاذ الحبيب كوزدغلي ودلندة بوزقرو وليلى عدة كتابات مطولة حول ذاكرة نساء حسب طرق علمية ومقارنات تاريخية صدر الكتاب عن المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية وضم شهادات ثرية ومتنوعة شملت النساء المنتميات لكل المشارب السياسية ايام العمل الوطني والحق بمناقشات ومداولات وتحليلات كتبت ضمن أيام دراسية مخصصة لكتابة تاريخ النساء

شهادات مؤثرة

نقتطف من كتاب جذور الحركة النسائية للاستاذة ليليا العبيدي ومضات تكشف عن مدى نضال النساء زمن الحركة الوطنية

تقول الومضة الاولى:

كنا نقيم بتربة الباي بالعاصمة وكان والدي الشيخ محمد الصالح بن مراد قد عوضنا عن المدرسة بجلبه لنا اساتذة يدرسوننا في المنزل دراسة عصرية (الفقه والحساب والجغرافيا) وكنا نطلع على المجلات أنا وأختي اليوم ولا استعمل من الزينة سوى الكحل لأتزين كبقية النساء كان والدي يصحبنا الى ضاحية سيدي أبي سعيد للتنزه كانت لدينا سيارة وعربة خيل وكنا نحيا حياة عصرية لم نعرف الفاقة لدينا الهاتف والبيانو في المنزل.

كان زوجي متزوجا إمرأة أخرى وله معها خمسة أولاد كنا ننوي تاسيس جمعية الاتحاد النسائي الاسلامي التونسي وكنا نستدعي زوجة المقيم لحفلاتنا وكان ذلك بموافقة الدستوريين ولم نتحصل على رخصة الاتحاد النسائي الا سنة 1951. وكان الهدف منذ البداية بث الثقافة العربية الاسلامية في الوسط النسائي ومساعدة الحركة الوطنية كنا نجتمع في منازلنا وننظم الحفلات لجمع التبرعات ونشجع الطلبة المهاجرين الى فرنسا لطلب العلم على أن لايتزوجوا اجنبيات بل يتزوجوا تونسيات مسلمات خصوصا وأن العديد من التونسيات أصبحن واعيات وعصريات كانت الحفلات مقياسا لنا نضبط به نسبة حضور النساء النشيطات والمشجعات للحركة

وتقول الومضة الثانية (وهي باللهجة العامية الاصلية لصاحبة الشهادة):

اما انا كيف ماتت أمي اعطاني أبي وأنا ابنة ستة عشر سنة راجلي خادم ثلاث سنوات عسكر وعام الحرب طلعنا هربنا للجبل الضرب بين الانقليز والالمان جاتوا سخانة مرض ومات بعد سبعة أيام وخلاني ثمة في الجبل وولدي رضيع بين يدي ومعه ثلاث أخرين كبار شوية مالا انا علش باركة انا ويني حدرت للدار رغم الخرب ولميت على اولادي وحجمت راسي ولبست الاكحل باش ما يطمع في احد يقول عزوزة ...

وتقول الومضة الثالثة:

قريت حتى الكنكور بابا ماحبش يخلينا نكملوا نقراورغم اللي كان عندنا راجل يهزنا للمكتب قعدت نكته في قلبي اللي ما كملتش قرايتي اجلي مانعرفوش وشفتو مرة في الظلام كان صعيب وعندو الحزارة اثر علي وتلحفت بالسفساري وانا وقتها صغيرة نحب نتفرهد نحب نخرج سكت على نفسي الله غالب جبت الصغار الكلهم على بعضهم من عام 1944 حتى عام 1955. ونحن نخدمو وبعد خروج فرنسا فكولنا المدارس وجاتنا صدمة أنا تشويت تأثرت ياسر هاجرنا الى قسنطينة وقضينا سبعة سنوات هنالك ...

والومضة الرابعة:

بابا كان متطوع قرا في الزيتونة هو وأحمد باي وكنا مخالطين عايلة الباي كانت أمي أخت الزعيم بورقيبة تعمل عشويات وحضرات في الزوي وتعتقد في سيدي مسعود وسيدي جابر وتذبح وقت اللي باش تولد تجيب الحضرة متاع المستير يجي خالي سي الحبيب ويجيب الضيوف متاعو أمي كانت تحبه كأنه ولدها وخالي ديما الهدرة متاعو الا على تحرير الوطن وفرنسا ... عائلة بابا حزارة اثروا على خالي سي الحبيب باش يخرجني من المدرسة قبل ما ناخذ الشهادة.

جيت الى سي الحبيب ثامر قلتله لو كان نشوفو النساء نعملوا مظاهرة قل لي ياشادلية هوما الرجال ويجعلوشي راهي مسالة متع موت وحبوسات وضرب وشوف كيفاش ضربو وقتلو الناس فرانسا ما عادش يهمها تقتل قلت له ما يهمنيش اللي يموت يموت شهيد واللي يعيش يعيش سعيد ....